مَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَلَا كُلُّ مَنْ تَوَقَّى نَجَا . لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تُصَابُ . لَيْسَ فِي الْبَرْقِ اللَّامِعِ مُسْتَمْتَعٌ لِمَنْ يَخُوضُ فِي الظُّلْمَةِ . لَيْسَ مَعَ الْفُجُورِ نَمَاءٌ وَلَا مَعَ الْعَدْلِ ظُلْمٌ وَلَا مَعَ الْقَتْلِ عَدْلٌ وَلَا مَعَ الْقَطِيعَةِ غِنًى . لَيْسَ مَعَ الْاِخْتِلَافِ ائْتِلَافٌ . لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ . لَيْسَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ إِنَّمَا هُوَ اتِّبَاعٌ

﴿ الباب الثاني ﴾

(ما روى عنه كرم الله وجهه فى ذم الدنيا وتزهيده فيها)

فمن ذلك قوله كرم الله وجهه

الدُّنْيَا أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ حَلَالُهَا حِسَابٌ وَحَرَامُهَا عِقَابٌ مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ وَمَنْ مَرِضَ فِيهَا نَدِمَ وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَمَنْ سَاعَاهَا(١) فَاتَتْهُ وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْهُ وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ وَمَنْ نَظَرَ بِهَا(٢) بَصَّرَتْهُ . لِلَّهِ

(١) ومن ساعاها أي جاراها (٢) ومن نظر بها أى استدل باحوالها

اُمْرُؤٌ عَمِلَ صَالِحاً وَقَدَّمَ خَالِصاً وَاكْتَسَبَ مَذْخُوراً[1] وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً وَبَنَى غَرَضاً وَأَحْرَزَ عِوَضاً كَابَرَ هَوَاهُ وَكَذَّبَ مُنَاهُ وَجَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ

***

﴿ وقال كرّم الله وجهه ﴾

الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ وَغِيَرٍ[2] وَعِبَرٍ[3] فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ مُفَوِّقٌ نَبْلَهُ[4] لَا تُطِيشُ سِهَامُهُ[5] وَلَا تُؤْسَى جِرَاحُهُ[6] يَرْمِي الشَّبَابَ بِالْهَرَمِ وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ وَالْحَيَاةَ بِالْمَوْتِ شَارِبٌ لَا يَرْوَى وَآكِلٌ لَا يَشْبَعُ وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِلَا بِنَاءٍ نَقَلَ وَلَا مَالٍ حَمَلَ وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّهَا تُلْفِيكَ الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً وَالْمَغْبُوطَ[7]

---

(١) مذخورا أى ذخيرة (٢) وغير أى حوادث لاتدوم على حال (٣) وعبر أى اعتبار (٤) موتر سهمه مفوّق نبله أى مستعدّ لرمى أبنائه بالسهام (٥) لاتطيش سهامه أى لاتخطئ (٦) ولا تؤسى جراحه أي لاتداوى (٧) المغبوط هو من كان فى نعمة

مَرْحُوماً لَيْسَ بَيْنَ ذٰلِكَ إِلاَّ نَعِيمٌ زَالَ وَبُؤْسٌ نَزَلَ وَمِنْ غَيْرِهَا أَنَّ ٱلْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ دُونَهُ أَجَلُهُ فَلاَ أَمَلٌ مُدْرَكٌ وَلاَ مُؤَمِّلٌ مُدْرِكٌ. فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَغَرَّ سُرُورَهَا وَأَظْمَأَ رِيَّهَا(١) وَأَضْحَى فَيْأَهَا(٢) كَأَنَّ ٱلَّذِي كَانَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ وَكَأَنَّ ٱلَّذِي هُوَ كَائِنٌ مِنْهَا قَدْ كَانَ لاَ جَاءَ يُرَدُّ وَلاَ مَاضٍ يُرْتَجَعُ وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ وَدَارُ ٱلْمُقَامِ وَجَنَّةٌ وَنَارٌ صَارَ أَوْلِيَاءُ ٱللهِ إِلَى ٱلآخِرَةِ بِٱلصَّبْرِ وَإِلَى ٱلأَمَلِ بِٱلْعَمَلِ جَاوَرُوا ٱللهَ فِي دَارِهِ مُلُوكاً خَالِدِينَ

***

﴿ وقال كرّم اللهُ وجههُ ﴾

الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ حَائِلٍ. وَزُخْرُفٍ(٣) نَائِلٍ. وَظِلِّ آفِلٍ وَسَنَدٍ مَائِلٍ. تُرْدِي مُسْتَزِيدَهَا. وَتَضُرُّ مُسْتَفِيدَهَا. فَكَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا رَاكِنٍ إِلَيْهَا قَدْ أَرْهَقَتْهُ إِيثَاقُهَا. وَأَعْلَقَتْهُ أَرْبَاقُهَا(٤).

---

(١) وأظمأ ريها أى أعطش ارتواءها (٢) وأضحى فيأها أى أحر ظلها
(٣) الزخرف هو الذهب والحسن من كل شيء (٤) قد أرهقته إيثاقها

وَأَشْرَبَتْهُ خِنَاقَهَا . وَأَلْزَمَتْهُ وَثَاقَهَا

***

﴿ وقال كرّم اللهُ وَجهَهُ ﴾

إِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ . وَٱلْمِضْمَارُ[1] ٱلْيَوْمَ وَغَدًا ٱلسِّبَاقُ

***

﴿ وقال كرّم اللهُ وَجهَهُ ﴾

طُوبَى[2] لِلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا . وَٱلرَّاغِبِينَ فِي ٱلْآخِرَةِ . أُولٰئِكَ قَوْمٌ ٱتَّخَذُوا أَرْضَ ٱللهِ بِسَاطًا . وَتُرَابَهَا فِرَاشًا . وَمَاءَهَا طِيبًا . وَٱلْكِتَابَ شِعَارًا . وَٱلدُّعَاءَ دِثَارًا[3] . وَقَرَضُوا ٱلدُّنْيَا قَرْضًا

وأعلقته أرباقها وأشربته خناقها وألزمته وثاقها هذه السجعات الأربع كلها بمعنى واحد وهو أن الدنيا أوثقته وشدته بحبال الهوان . الارباق جمع ربقة وهى العروة التى تشد بها الشاة والخناق الحبل الذى يخنق به (١) المضمار هو الموضع الذى تضمر فيه الخيل للسباق (٢) طوبى اسم شجرة فى الجنة (٣) والكتاب شعارا والدعاء دثارا الشعار الثوب الذي يلى الجسد والدثار الثوب الذى يكون فوق الشعار

عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ

***

﴿ وقال له كرّم اللهُ وَجهَهُ رجلٌ صِفْ لنا الدُّنيا فقال ﴾

وَمَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ . وَمَنْ سَقِمَ فِيهَا نَدِمَ . وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ . وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ . فِي حَلَالِهَا الْحِسَابُ . وَفِي حَرَامِهَا الْعَذَابُ[1]

***

﴿ وقال عليه السلامُ ﴾

إِعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ . وَمَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ . وَمَوْقُوفُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ . وَمَجْزِيُّونَ بِهَا . فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . فَإِنَّهَا دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ . وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ . وَبِالْغَدْرِ مَوْصُوفَةٌ . وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى زَوَالٍ . وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُوَلٌ[2] وَسِجَالٌ[3] . لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا . وَلَنْ يَسْلَمَ مِنْ شَرِّ نُزَّالِهَا . بَيْنَا أَهْلُهَا مِنْهَا فِي رَخَاءٍ

(١) وفى رواية النار (٢) دول جمع دولة أى يتداولونها بينهم (٣) وسجال أى تكون تارة على هؤلاء وتارة على هؤلاء

وَسُرُورٍ . إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَغُرُورٍ . أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ . وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ . الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ . وَالرَّخَاءُ فِيهَا لَا يَدُومُ . وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا . وَتُقَصِّمُهُمْ بِحِمَامِهَا[1] . وَكُلُّ حَتْفُهُ فِيهَا مَقْدُورٌ . وَحَظُّهُ مِنْهَا مَوْفُورٌ

***

﴿ وقال عليه السلامُ ﴾

الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ إِلَى دَارِ مَقَرٍّ . وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ رَجُلٌ بَاعَ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا[2] . وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ[3] فَأَعْتَقَهَا

***

﴿ كتبَ عليه السلام الى سَلْمَانَ الفارسيّ رحمه الله ﴾

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ . لَيِّنٌ مَسُّهَا . قَاتِلٌ سَمُّهَا يَهْوِي إِلَيْهَا الصَّبِيُّ الْجَاهِلُ . وَيَحْذَرُهَا اللَّبِيبُ الْعَاقِلُ . فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا . لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا . وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا . لِمَا لَقِيتَ مِنْ فِرَاقِهَا . وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ فِيهَا أَحْذَرَ

(١) بحمامها أى بموتها (٢) فاوبقها أى أهلكها (٣) ابتاع نفسه أى اشتراها

مَا تَكُونُ لَهَا فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ مِنْهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَهُ(١) عَنْهُ مَكْرُوهٌ وَالسَّلَامُ

***

﴿ وقال عليه السلام فى ذمّ الدُّنيا ﴾

احْذَرُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا الْخَدَّاعَةَ الْغَرَّارَةَ الَّتِى قَدْ تَزَيَّنَتْ بِحِلْيِهَا(٢) وَفَتَنَتْ بِغُرُورِهَا. وَغَرَّتْ بِآمَالِهَا. وَتَشَوَّفَتْ لِخُطَّابِهَا. فَأَصْبَحَتْ كَالْعَرُوسِ الْمَجْلُوَّةِ. الْعُيُونُ إِلَيْهَا نَاظِرَةٌ. وَالنُّفُوسُ بِهَا مَشْغُوفَةٌ وَالْقُلُوبُ إِلَيْهَا تَائِقَةٌ(٣). وَهِىَ لِأَزْوَاجِهَا كُلِّهِمْ قَاتِلَةٌ. فَلَا الْبَاقِى بِالْمَاضِى مُعْتَبِرٌ. وَلَا الْآخِرُ بِسُوءِ أَثَرِ هَا عَلَى الْأَوَّلِ مُزْدَجِرٌ. وَلَا اللَّبِيبُ فِيهَا بِالتَّجَارِبِ مُنْتَفِعٌ. أَبَتِ الْقُلُوبُ لَهَا إِلَّا حُبًّا. وَالنُّفُوسُ بِهَا إِلَّا ضِنًّا(٤). فَالنَّاسُ لَهَا طَالِبَانِ. طَالِبٌ ظَفِرَ بِهَا فَاغْتَرَّ فِيهَا وَنَسِىَ التَّزَوُّدَ مِنْهَا لِلظَّعْنِ عَنْهَا فَقَلَّ فِيهَا لُبْثُهُ حَتَّى خَلَتْ مِنْهَا يَدُهُ وَزَلَّتْ عَنْهَا قَدَمُهُ وَجَاءَتْهُ أَسَرُّ مَا كَانَ بِهَا مَنِيَّتُهُ

---

(١) اشخصه عنه أى اذهبه عنه وأبعده (٢) وفى رواية بحليها

(٣) تائقة أى مشتاقة (٤) الا ضنا أي الابخلا

فعظمت ندامته . وكثرت حسرته . وجلت مصيبته . فاجتمعت عليه سكرات الموت . فغير موصوف ما نزل به . وآخر اختلج عنها[1] قبل أن يظفر بحاجته . ففارقها بغرته وأسفه . ولم يدرك ما طلب منها . ولم يظفر بما رجا فيها . فارتحلا جميعاً من الدنيا بغير زاد . وقدما على غير مهاد[2] . فاحذروا الدنيا أشد الحذر كله . فإنما مثلها مثل الحية ليّن مسها . قاتل سمها . فأعرض عما يعجبك فيها . لقلة ما يصحبك منها . وضع عنك ثقل همومها . لما تيقنت من وشك زوالها[3] . وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها . فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه[4] عنها مكروه . وكلما اغتبط منها باقبال[5] نغصه عنها إدبار . وكلما ثنى عليه منها رجلا طوت عنه كشحا[6] . فالسار فيها غار . والنافع فيها ضار . وصل

(١) اختلج عنها أي انتزع منها (٢) المهاد هو الفراش والمراد به هنا مايمهده لنفسه فى أخراه من العمل الصالح فى دنياه (٣) من وشك زوالها أى قرب انقضائها (٤) اشخصه أى اذهبه (٥) اغتبط منها باقبال أى تمتع منها بنعمة (٦) كشحا الكشح هو مابين الخاصرة الى الضلع الخلف

رَخاؤُها بالبَلاء. وجُعِلَ بَقاؤُها إلى الفَناء. فَرَحُها مَشُوبٌ بالحَزَن (١) وآخِرُ غُمُومِها إلى الوَهَن (٢). فانْظُرْ إليها بعَيْنِ الزّاهِدِ المُفارِقِ ولا تَنْظُرْ إليها بعَيْنِ الصّاحِبِ الوامِقِ (٣). إعْلَمْ يا هذا أنّها تُشْخِصُ الوادِعَ الساكِنَ (٤). وتَفْجَعُ المُغْتَبِطَ (٥) الآمِنَ. لا يَرْجِعُ مِنْها ما تَوَلّى فأدْبَرَ. ولا يُدْرى ما هُوَ آتٍ فيُحْذَرَ. أمانِيُّها كاذِبَةٌ. وآمالُها باطِلَةٌ. صَفْوُها كَدَرٌ. وابْنُ آدَمَ فيها على خَطَرٍ. إمّا نِعْمَةٌ زائِلَةٌ. وإمّا بَلِيَّةٌ نازِلَةٌ. وإمّا مَعْظَمَةٌ جائِحَةٌ (٦) وإمّا مَنِيَّةٌ قاضِيَةٌ. فلَقَدْ كَدَّرَتْ عليه المَعِيشَةَ إنْ عَقَلَ. وأخْبَرَتْهُ عَنْ نَفْسِها إنْ وَعى. ولَوْ كانَ خالِقُها جَلَّ وعَزَّ (٧) لَمْ يُخْبِرْ عَنْها خَبَراً. ولَمْ يَضْرِبْ لَها مَثَلاً. ولَمْ يَأْمُرْ بالزُّهْدِ فيها. والرَّغْبَةِ عَنْها. لَكانَتْ وَقائِعُها وفَجائِعُها قَدْ أنْبَهَتِ النّائِمَ. ووَعَظَتِ الظّالِمَ وبَصَّرَتِ العالِمَ. وكَيْفَ وقَدْ جاءَ عَنْها مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ زاجِرٌ

(١) مشوب بالحزن أى مختلط به (٢) الوهن هو الضعف (٣) الوامق أى المحب (٤) تشخص الوادع الساكن أى تقلقه وتزعزعه والوادع والساكن بمعنى واحد فهما مترادفان (٥) المغتبط أى المتنعم المتمتع (٦) جائحة الجائحة هى الشدة التى تجتاح المال أى تهلكه (٧) وفى رواية وعلا

وَأَتَتْ مِنْهُ فِيهَا ٱلْبَيِّنَاتُ وَٱلْبَصَائِرُ[1] . فَمَا لَهَا عِنْدَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَدْرٌ وَلَا وَزْنٌ . وَلَا خَلَقَ فِيمَا بَلَغَنَا خَلْقًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْهَا . وَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا مُذْ خَلَقَهَا . وَلَقَدْ عُرِضَتْ عَلَى نَبِيِّنَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَفَاتِيحِهَا وَخَزَائِنِهَا لَا يَنْقُصُهُ ذٰلِكَ مِنْ حَظِّهِ مِنَ ٱلْآخِرَةِ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا لِعِلْمِهِ أَنَّ ٱللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ وَأَنْ لَا يَرْفَعَ مَا وَضَعَ ٱللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَأَنْ لَا يُكَثِّرَ مَا أَقَلَّ ٱللهُ جَلَّ وَعَزَّ . وَلَوْ لَمْ يُخْبِرْكَ عَنْ صِغَرِهَا عِنْدَ ٱللهِ إِلَّا أَنَّ ٱللهَ جَلَّ وَعَزَّ أَصْغَرَهَا عَنْ أَنْ يَجْعَلَ خَيْرَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ . وَأَنْ يَجْعَلَ عُقُوبَتَهَا عِقَابًا لِلْعَاصِينَ . وَمِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى دَنَاءَةِ ٱلدُّنْيَا أَنَّ ٱللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ زَوَاهَا عَنْ أَوْلِيَائِهِ[2] وَأَحِبَّائِهِ نَظَرًا وَٱخْتِيَارًا . وَبَسَطَهَا لِأَعْدَائِهِ فِتْنَةً وَٱخْتِبَارًا . فَأَكْرَمَ عَنْهَا مُحَمَّدًا نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَصَبَ عَلَى بَطْنِهِ مِنَ ٱلْجُوعِ . وَحَمَاهَا مُوسَى[3] نَجِيَّهُ ٱلْمُكَلَّمَ . وَكَانَتْ تُرَى

---

(١) والبصائر جمع بصيرة وهى الحجة والاستبصار فى الشيء (٢) زواها عن أوليائه أى صرفها عنهم (٣) وحماها موسى أى منعها إياه.

خُضْرَةُ ٱلْبَقْلِ من صِفَاقِ [1] بَطْنِهِ مِنَ ٱلْهُزَال . وَمَا سَأَلَ ٱللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَوْم أَوَى إِلَى ٱلظِّلِّ إِلاَّ طَعَاماً يَأْكُلُهُ لِمَا جَهَدَهُ مِنَ ٱلْجُوعِ . وَلَقَدْ جَاءَتِ ٱلرِّوَايَةُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ أُوحِيَ إِلَيْهِ إِذَا رَأَيْتَ ٱلْغِنَى مُقْبِلاً فَقُلْ ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عُقُوبَتُهُ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلْفَقْرَ مُقْبِلاً فَقُلْ مَرْحَباً بِشِعَارِ ٱلصَّالِحِينَ . وَصَاحِبُ ٱلرُّوحِ وَٱلْكَلِمَةِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ إِذْ قَالَ أُدْمِي ٱلْجُوعُ [2] وَشِعَارِي ٱلْخَوْفُ . وَلِبَاسِي ٱلصُّوفُ وَدَابَّتِي . رِجْلاَيَ وَسِرَاجِي بِٱللَّيْلِ ٱلْقَمَرُ . وَصِلاَئِي فِي ٱلشِّتَاءِ [3] مَشَارِقُ ٱلشَّمْسِ . وَفَاكِهَتِي مَا أَنْبَتَتِ ٱلأَرْضُ لِلأَنْعَامِ . أَبِيتُ وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْنَى مِنِّي . أَوْ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ وَمَا أُوتِيَ مِنَ ٱلْمُلْكِ إِذْ كَانَ يَأْكُلُ خُبْزَ ٱلشَّعِيرِ وَيُطْعِمُ أَهْلَهُ ٱلْحِنْطَةَ وَإِذَا جَنَّهُ ٱللَّيْلُ لَبِسَ ٱلْمُسُوحَ وَغَلَّ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَبَاتَ بَاكِياً حَتَّى يُصْبِحَ وَيُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي كَثِيراً وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي

---

(١) الصفاق هو جلد البطن (٢) أدمى الجوع أى إدامى الجوع والادام كل مايؤكل به الخبز (٣) وصلائى فى الشتاء أى ماأستدفئ به فى الشتاء

أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَهٰؤُلَاءِ أَنْبِيَاءُ اللهِ وَأَصْفِيَاؤُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ تَنَزَّهُوا عَنِ الدُّنْيَا وَزَهِدُوا فِيمَا زَهَّدَهُمُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيهِ مِنْهَا . وَأَبْغَضُوا مَا أَبْغَضَ . وَصَغَّرُوا مَا صَغَّرَ . ثُمَّ اقْتَصَّ الصَّالِحُونَ آثَارَهُمْ(١) . وَسَلَكُوا مَنَاهِجَهُمْ(٢) . وَأَلْطَفُوا الْفِكَرَ . وَانْتَفَعُوا بِالْعِبَرِ . وَصَبَرُوا فِي هٰذَا الْعُمُرِ الْقَصِيرِ عَنْ مَتَاعِ الْغُرُورِ الَّذِي يَعُودُ إِلَى الْفَنَاءِ . وَيَصِيرُ إِلَى الْحِسَابِ . نَظَرُوا بِعُقُولِهِمْ إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى أَوَّلِهَا . وَإِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى ظَاهِرِهَا . وَفَكَّرُوا فِي مَرَارَةِ عَاقِبَتِهَا . فَلَمْ تَسْتَهْزِهُمْ(٣) حَلَاوَةُ عَاجِلِهَا . ثُمَّ أَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمُ الصَّبْرَ . وَأَنْزَلُوا الدُّنْيَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَالْمَيْتَةِ الَّتِي لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْبَعَ مِنْهَا إِلَّا فِي حَالِ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا . وَأَكَلُوا مِنْهَا بِقَدْرِ مَا أَبْقَى لَهُمُ النَّفَسَ . وَأَمْسَكَ الرُّوحَ وَجَعَلُوهَا بِمَنْزِلَةِ الْجِيفَةِ الَّتِي اشْتَدَّ نَتْنُهَا فَكُلُّ مَنْ مَرَّ

---

(١) اقتص الصالحون آثارهم أى تتبعوها (٢) وفى رواية منهاجهم

(٣) فلم تستهزهم أى لم تحركهم إلى السرور بها والارتياح إليها

بِهَا أَمْسَكَ عَلَى أَنَفِهِ مِنْهَا . فَهُمْ يَتَبَلَّغُونَ مِنْهَا بِأَدْنَى الْبَلَاغِ وَلَا يَنْتَهُونَ إِلَى الشِّبَعِ مِنَ النَّتْنِ . وَيَتَعَجَّبُونَ مِنَ الْمُمْتَلِئِ مِنْهَا شِبَعاً وَالرَّاضِي بِهَا نَصِيباً . إِخْوَانِي وَاللهِ لِهِيَ فِي الْعَاقِبَةِ وَالْآجِلَةِ[1] لِمَنْ نَاصَحَ نَفْسَهُ فِي النَّظَرِ . وَأَخْلَصَ لَهُ الْفِكَرَ . أَنْتَنُ مِنَ الْجِيفَةِ . وَأَكْرَهُ مِنَ الْمَيْتَةِ . غَيْرَ أَنَّ الَّذِي نَشَأَ فِي دِبَاغِ الْإِهَابِ[2] لَا يَجِدُ نَتْنَهُ وَلَا يُؤْذِيهِ مِنْ رَائِحَتِهِ مَا يُؤْذِي الْمَارَّ بِهِ وَالْجَالِسَ عِنْدَهُ . وَقَدْ يَكْفِي الْعَاقِلَ مِنْ مَعْرِفَتِهَا عِلْمُهُ . فَإِنَّ مَنْ مَاتَ وَخَلَّفَ سُلْطَاناً عَظِيماً سَرَّهُ أَنَّهُ عَاشَ فِيهَا سُوقَةً[3] خَامِلاً أَوْ كَانَ فِيهَا مُعَافًى سَلِيماً سَرَّهُ أَنَّهُ كَانَ فِيهَا مُبْتَلًى ضَرِيراً . فَكَفَى بِهَذَا عَلَى عَوْرَتِهَا وَالرَّغْبَةِ عَنْهَا دَلِيلاً . وَاللهِ لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ مَنْ أَرَادَ مِنْهَا شَيْئاً وَجَدَهُ حَيْثُ تَنَالُ يَدُهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ وَلَا تَعَبٍ وَلَا مَؤُونَةٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا ظَعْنٍ وَلَا دَأَبٍ[4]

---

(١) وفى رواية والعاجلة (٢) نشأ فى دباغ الاهاب أى شب فى دبغه والاهاب هو الجلد الذى لم يدبغ ، وفى نسخة إهابٌ (٣) السوقة بضم السين الرعية ضد الملك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (٤) ولا دأب أى اجتهاد فى عمل

غَيْرَ أَنَّ مَا أَخَذَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ لَزِمَهُ حَقُّ اللهِ فِيهِ . وَالشُّكْرُ عَلَيْهِ وَكَانَ مَسْؤُولاً عَنْهُ مُحَاسَبًا عَلَيْهِ (١) . لَكَانَ يَحِقُّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَتَنَاوَلَ مِنْهَا إِلَّا قُوتَهُ وَبُلْغَةَ يَوْمِهِ (٢) . حَذَرَ السُّؤَالِ وَخَوْفًا مِنَ الْحِسَابِ وَإِشْفَاقًا مِنَ الْعَجْزِ (٣) عَنِ الشُّكْرِ فَكَيْفَ بِمَنْ تَجَشَّمَ فِي طَلَبِهَا (٤) مِنْ خُضُوعِ رَقَبَتِهِ . وَوَضْعِ خَدِّهِ . وَفَرْطِ عَنَائِهِ . وَالِاغْتِرَابِ عَنْ أَحِبَّائِهِ . وَعَظِيمِ خَطَارِهِ . ثُمَّ لَا يَدْرِي مَا آخِرُ ذَلِكَ الظَّفَرُ أَمِ الْخَيْبَةُ وَإِنَّمَا الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ . يَوْمٌ مَضَى بِمَا فِيهِ فَلَيْسَ بِعَائِدٍ . وَيَوْمٌ أَنْتَ فِيهِ فَحَقٌّ (٥) عَلَيْكَ اغْتِنَامُهُ . وَيَوْمٌ لَا تَدْرِي أَمِنْ أَهْلِهِ وَلَعَلَّكَ رَاحِلٌ فِيهِ فَأَمَّا أَمْسِ فَحَكِيمٌ مُؤَدِّبٌ (٦) وَأَمَّا الْيَوْمُ فَصَدِيقٌ مُوَدِّعٌ . فَأَمَّا غَدٌ فَإِنَّمَا فِي يَدَيْكَ مِنْهُ الْأَمَلُ فَإِنْ يَكُنْ أَمْسِ سَبَقَكَ بِنَفْسِهِ فَقَدْ أَبْقَى فِي يَدَيْكَ حِكْمَتَهُ وَإِنْ يَكُنْ يَوْمُكَ هَذَا آنَسَكَ بِقُدُومِهِ عَلَيْكَ فَقَدْ كَانَ طَوِيلَ الْغَيْبَةِ

---

(١) نسخة به (٢) وبلغة يومه أي ما يتبلغ به من العيش فى يومه (٣) واشفاقا من العجز أى حذرا منه (٤) بمن تجشم فى طلبها أى تكلف فيه (٥) وفى رواية فحقٌّ (٦) فاما أمس فحكيم مؤدب يعنى أن اليوم الذى أتاك ومضى عنك علمك من الحكمة والتجارب ومحاسن الآداب مالم تكن تعلم

عَنْكَ وَهُوَ سَرِيعُ الرِّحْلَةِ فَتَزَوَّدْ مِنْهُ وَأَحْسِنْ وَدَاعَهُ . جِدَّ (١) بِالثِّقَةِ فِي الْعَمَلِ . وَإِيَّاكَ وَالِاغْتِرَارَ بِالْأَمَلِ . وَلَا تُدْخِلْ عَلَيْكَ الْيَوْمَ هَمَّ غَدٍ يَكْفِي الْيَوْمَ هَمُّهُ وَغَدٌ دَاخِلٌ عَلَيْكَ بِشُغْلِهِ إِنَّكَ إِنْ حَمَلْتَ عَلَى الْيَوْمِ هَمَّ غَدٍ زِدْتَ فِي حُزْنِكَ وَتَعَبِكَ وَتَكَلَّفْتَ أَنْ تَجْمَعَ فِي يَوْمِكَ مَا يَكْفِيكَ أَيَّامًا . فَعَظُمَ الْحُزْنُ . وَزَادَ الشُّغْلُ وَاشْتَدَّ التَّعَبُ . وَضَعُفَ الْعَمَلُ لِلْأَمَلِ . وَلَوْ أَخْلَيْتَ قَلْبَكَ مِنَ الْأَمَلِ لَجَدَّ لَكَ الْعَمَلَ . وَالْأَمَلُ مِنْكَ فِي الْيَوْمِ قَدْ ضَرَّكَ فِي وَجْهَيْنِ سَوَّفْتَ بِهِ الْعَمَلَ (٢) . وَزِدْتَ بِهِ فِي الْهَمِّ وَالْحَزَنِ . أَوَلَا تَرَى أَنَّ الدُّنْيَا سَاعَةٌ بَيْنَ سَاعَتَيْنِ . سَاعَةٌ مَضَتْ . وَسَاعَةٌ بَقِيَتْ وَسَاعَةٌ أَنْتَ فِيهَا . فَأَمَّا الْمَاضِيَةُ وَالْبَاقِيَةُ فَلَسْتَ تَجِدُ ارْخَائِهِمَا لَذَّةً وَلَا لِشِدَّتِهِمَا أَلَمًا فَأَنْزِلِ السَّاعَةَ الْمَاضِيَةَ وَالسَّاعَةَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مَنْزِلَةَ الضَّيْفَيْنِ نَزَلَا بِكَ فَظَعَنَ الرَّاحِلُ عَنْكَ بِذَمِّهِ إِيَّاكَ . وَحَلَّ النَّازِلُ بِكَ بِالتَّجْرِبَةِ لَكَ فَإِحْسَانُكَ إِلَى الثَّاوِي يَمْحُو (٣)

---

(١) وفى نسخة خذ (٢) سوفت به العمل أى أخرت به عملك

(٣) فاحسانك إلى الثاوى يمحو اساءتك إلى الماضى معناه ان احسانك

إساءتك الى الماضى . فأدرك ما أضعت باعتابك [١] فيما استقبلت واحذر أن تجمع عليك شهادتهما فيوبقاك [٢] ولو أن مقبورا من الأموات قيل له هذه الدنيا أولها إلى آخرها تخلفها لولدك الذى لم يكن لك همّ غيرهم أو يوم نردّه إليك فتعمل فيه لنفسك لاختار يوما يستعتب فيه [٣] من سيّىء ما أسلف على جميع الدنيا يورّثها ولده خلفه فما يمنعك أيها المغترّ المضطرّ المؤتنف [٤] أن تعمل على مهل قبل حلول الأجل وما يجعل المقبور أشدّ تعظيما لما فى يديك منك . ألا تسعى فى تحرير رقبتك . وفكاك رقّك . ووقاء نفسك من النار التى عليها ملائكة غلاظ شداد .

***

فى الساعة الحاضرة يمحو اساءتك فى الساعة الماضية . والثاوى هو المقيم

(١) باعتابك أى ارضائك (٢) فيوبقاك أى يهلكاك (٣) يستعتب فيه أى يطلب فيه الرضى والمسامحة (٤) المؤتنف أى المبتدئ وهو الذى يأكل من الشئ قبل أن يأكل منه غيره

﴿ وقال كرم الله وجهه ﴾

أَيُّها النَّاسُ ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلدُّنْيا نَظَرَ ٱلزَّاهِدِينَ فِيهَا ٱلْمَاقِتِينَ لَهَا فَمَا خُلِقَ ٱمْرُؤٌ عَبَثًا فَيَلْهُوَ[1]. وَلَا أُمْهِلَ سُدًى فَيَلْغُوَ[2]. وَمَا دُنْيَاهُ ٱلَّتِي تَزَيَّنَهُ بِخَلَفٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ ٱلَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ ٱلنَّظَرِ إِلَيْهَا وَمَا ٱلْخَسِيسُ ٱلَّذِي ظَفِرَ بِهِ مِنَ ٱلْآخِرَةِ عَلَى سُهْمَتِهِ[3] لَا يَرْجِعُ بِمَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ. وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ. فَاعْتَبِرُوا وَٱنْظُرُوا إِدْبَارَ مَا قَدْ أَدْبَرَ. وَحُضُورَ مَا قَدْ حَضَرَ. فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ لَمْ يَكُنْ. وَكَأَنَّ مَا هُوَ آتٍ قَدْ نَزَلَ.

***

﴿ وقال كرم الله وجهه ﴾

ٱنْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ ٱلزَّاهِدِينَ فِيهَا. فَإِنَّهَا وَٱللَّهِ عَنْ قَلِيلٍ تُزِيلُ ٱلثَّاوِيَ[4] ٱلسَّاكِنَ. وَتَفْجَعُ ٱلْمُتْرَفَ[5] ٱلْآمِنَ لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى عَنْهَا فَأَدْبَرَ وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ

---

(١) فيلهو أي يلعب (٢) فيلغو أى يتكلم بما لا فائدة فيه (٣) على سهمته السهمة القرابة والنصيب (٤) الثاوى أي المقيم (٥) المترف هو المتنعم

سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحَزَنِ[1]. وَآخِرُ الْحَيَاةِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهَنِ[2]. فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ مِنْهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. رَحِمَ اللهُ عَبْدًا تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ. وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ إِدْبَارَ مَا قَدْ أَدْبَرَ. وَحُضُورَ مَا قَدْ حَضَرَ. وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ. وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ لَمْ يَزَلْ. وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ

***

﴿ وقال كرّم اللهُ وجهه ﴾

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ جَلَّ وَعَزَّ. وَاغْتِنَامِ مَا اسْتَطَعْتُمْ عَمَلًا بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ فِي هٰذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ لِجَلِيلِ مَا يُشْفِي عَلَيْكُمْ[3] بِهِ الْفَوْتُ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَبِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا تُحِبُّونَ تَرْكَهَا. وَالْمُبْلِيَةِ لَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا[4]. فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا

(١) مشوب بالحزن أى مختلط به (٢) والوهن أي الضعف
(٣) لجليل ما يشفى عليكم أي لعظيم ما يشرف ويطلع عليكم
(٤) وفى نسخة تجريدها وليست الرواية

كَرَكْبٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ . وَأَمُّوا عَلَماً[1] فَكَأَنْ قَدْ بَلَغُوهُ . وَكَمْ عَسَى الْجَارِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ حَتَّى يَبْلُغَهَا . وَكَمْ عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ[2] وَمَنْ وَرَائِهِ طَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا . فَلَا تَتَنَافَسُوا فِي الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا . وَلَا تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا . وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا . فَإِنَّ عِزَّ الدُّنْيَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ . وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ . وَإِنَّ ضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ . وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى مُنْتَهًى . وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ . أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ . وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ . مُعْتَبَرٌ وَتَبْصِرَةٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ . وَإِلَى الْخَلَفِ الْبَاقِي مِنْكُمْ لَا يَبْقَوْنَ . قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا[3] أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) الْآيَةَ وَالَّتِي بَعْدَهَا وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ

---

(١) وأموا علما أى قصدوه (٢) لايعدوه أى لايتجاوزه (٣) وحرام على قرية أهلكناها حرام فى هذه الآية بمعنى واجب

اجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) أَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمْسُونَ وَيُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى. مَيِّتٌ يُبْكَى. وَآخَرُ يُعَزَّى وَصَرِيعٌ(١) مُبْتَلَى. وَعَائِدٌ يَعُودُ(٢). وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ(٣). وَطَالِبٌ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ. وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ. وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مِنَّا يَمْضِي الْبَاقِي. (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الَّذِي يَبْقَى وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ. وَإِلَيْهِ مَوْئِلُ الْحَقِّ وَمَرْجِعُ الْأُمُورِ

***

﴿ وقال كرّم اللهُ وَجهه ﴾

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ. حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ. وَرَاعَتْ بِالْقَلِيلِ(٤). وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ. وَعُمِّرَتْ

---

(١) وصريع أي طريح على الأرض (٢) وعائد يعود المراد بالعائد هنا من يعود الانسان فى مرضه فهو من العيادة لا من العود (٣) بنفسه يجود أى قارب أن يموت (٤) وراعت بالقليل أي أعجبت بقليلها

بالآمال . وتزينت بالغرور . فلا تدوم حبرتها [١] . ولا تؤمن فجائعها . غدارة . ضرارة . خاتلة [٢] . زائلة . نافدة . بائدة [٣] أكالة . غوالة . لا تعدو [٤] إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها . والرضى بها . أن تكون كما قال الله جل وعز (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) مع أن امرأ لم يكن فيها في حبرة [٥] . إلا أعقبته منها بعد بعبرة [٦] . ولم يلق من سرائها بطنا . إلا أعقبته من ضرائها ظهرا . ولم تطله [٧] فيها ديمة [٨] رخاء . إلا هتنت عليه منها مزنة بلاء وحرى [٩] . إذا أصبحت لك مهتزة [١٠] انتمسي لك متنكرة [١١] . وإن جانب منها اعذوذب

---

(١) حبرتها أى سرورها (٢) خاتلة أى خادعة (٣) نافدة بائدة أى فانية هالكة (٤) لا تعدو أى لا تتجاوز (٥) فى حبرة أى فى سرور (٦) بعبرة العبرة هي دمعة العين قبل أن تسيل (٧) ولم تطله أى لم تقطر عليه (٨) ديمة الديمة المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق (٩) وحرى أي حقيق (١٠) مهتزة أي مرتاحة اليك مقبلة عليك (١١) متنكرة أى متغيرة لك معرضة عنك

لِامْرِئٍ وَاحْلَوْلَى. أَمَرُّ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَأَ. وَإِنْ لَبِسَ إِنْسَانٌ مِنْ غَضَارَتِهَا[1] رَغَبًا أَرْهَقَتْهُ مِنْ بَوَائِقِهَا[2] تَعَبًا. وَلَمْ يُمْسِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ فِي جَوْفِ خَوْفٍ. غَرَّارَةٌ غَرُورٌ مَا فِيهَا. فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا. لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ[3]. وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا لَمْ تَدُمْ لَهُ وَزَالَتْ عَنْهُ. كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ. وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا صَرَعَتْهُ[4]. وَذِي خُدَعٍ فِيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ. وَكَمْ مِنْ ذِي أُبَّهَةٍ[5] فِيهَا قَدْ صَيَّرَتْهُ حَقِيرًا. وَذِي نَخْوَةٍ[6] فِيهَا قَدْ رَدَّتْهُ خَائِفًا فَقِيرًا. وَكَمْ مِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ أَكَبَّتْهُ لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ. سُلْطَانُهَا دُوَلٌ. وَعَيْشُهَا رَنِقٌ[7] وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ[8] وَحُلْوُهَا صَبِرٌ[9]

---

(١) غضارتها الغضارة النعمة والسعة (٢) أرهقته من بوائقها أى أغشته من غوائلها (٣) مما يوبقه أى يهلكه (٤) صرعته أى طرحته على الأرض (٥) ذى أبهة أى صاحب عظمة وكبر (٦) وذى نخوة النخوة الافتخار والعظمة (٧) وعيشها رنق أى عيشها متكدرة (٨) وعذبها أجاج الأجاج الماء الملح المر (٩) وحلوها صبر الصبر دواء مر

وَغِذَاؤُها سِمَامٌ. وَأَسْبَابُها رِمَامٌ(١). وَقِطَافُها سَلَعٌ(٢). حَيُّها بِعَرَضِ مَوْتٍ. وَصَحِيحُها بِعَرَضِ سَقَمٍ. وَمَنِيعُها بِعَرَضِ اهْتِضَامٍ. وَمُلْكُها مَسْلُوبٌ. وَعَزِيزُها مَغْلُوبٌ. وَضَعِيفُها مَنْكُوبٌ. وَجَارُها مَحْرُوبٌ(٣). مَعَ أَنَّ وَرَاءَ ذٰلِكَ سَكَرَاتِ ٱلْمَوْتِ وَزَفَرَاتِهِ. وَهَوْلَ ٱلْمُطَّلَعِ(٤). وَٱلْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْحَكَمِ (لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِٱلْحُسْنَىٰ) أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. كَانُوا أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً. وَأَبْقَى مِنْكُمْ آثَاراً. وَأَعَدَّ مِنْكُمْ عَدِيداً(٥). وَأَكْثَفَ مِنْكُمْ جُنُوداً. وَأَشَدَّ مِنْكُمْ عُنُوداً(٦). تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ. وَآثَرُوهَا(٧) أَيَّ إِيثَارٍ. ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِٱلصَّغَارِ. فَهَلْ

---

(١) وأسبابها رمام أى حبالها بالية متقطعة (٢) وقطافها سلع القطاف وقت قطف الثمار والسلع شجر مر يعنى ان كل ما احلولى من الدنيا يجده العاقل الزاهد فيها مرا (٣) محروب أي مسلوب ماله (٤) وهول المطلع المطلع موضع الاطلاع والمراد به هنا موضع الاطلاع على أمور الآخرة (٥) وأعد منكم عديدا أي أكثر منكم عددا (٦) عنودا أى عنادا (٧) وآثروها أى اختاروها

بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ . أَوْ عَدَتْ[1] عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَهْلَكَتْهُمْ بِهِ بِخَطْبٍ . بَلْ أَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ . وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ . وَعَفَّرَتْهُمْ بِالْمَنَاخِرِ . وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ . فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا[2] . وَآثَرَهَا[3] وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا[4] حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ أَبَدٍ . أَوْ إِلَى آخِرِ زَوَالٍ . هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا الشَّغَبَ[5] . أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا إِلَى الضَّنْكِ . أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ . أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّارَ . أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ . أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ . أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ . يَقُولُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا[6] . وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا . اذْكُرُوا عِنْدَ

---

(١) أو عدت عدت هنا بمعنى تجاوزت (٢) لمن دان لها أى ذل لها وخضع
(٣) وآثرها أى اختارها (٤) واخلد اليها أى سكن اليها واطمان بها
(٥) الاالشغب الشغب هو تهييج الشر وهو بسكون الغين واختلفوا فى فتحها
(٦) لمن لم يتهمها أى لمن لم يدخل عليها تهمة بما تخيله له من زخارفها

تَصَرُّفِها بِكُمْ . سُرْعَةَ انْقِضائِها عَنْكُمْ . وَوَشْكَ زَوالِها (١) وَضَعْفَ مَجالِها . أَلَمْ تَحْذُكُمْ عَلَى مِثالِ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ (٢) وَحَذَتْ مَنْ قَبْلَكُمْ عَلَى مِثالِ مَنْ كانَ قَبْلَهُمْ . جِيلٌ بَعْدَ جِيلٍ . وَأُمَّةٌ بَعْدَ أُمَّةٍ . وَقَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ . وَخَلَفٌ بَعْدَ خَلَفٍ . فَلا هِيَ تَسْتَحْيِي مِنَ الْعارِ . وَلا تَبْتَغِي (٣) مِنَ الْمُنْدِباتِ (٤) . وَلا تَخْجَلُ مِنَ الْغَدْرِ . اعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تارِكُوها لا بُدَّ وَإِنَّما هِيَ كَما نَعَتَ اللهُ (٥) جَلَّ وَعَزَّ (لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ) فَاتَّعِظُوا فِيها بِالَّذِينَ كانُوا يَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ (٦) آيَةً يَعْبَثُونَ (٧) . وَيَتَّخِذُونَ مَصانِعَ (٨) لَعَلَّهُمْ يَخْلُدُونَ (٩) . وَبِالَّذِينَ قالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً . وَاتَّعِظُوا

---

(١) ووشك زوالها أى قرب انقضائها (٢) ألم تحذكم على مثال من كان قبلكم أى ألم تقدركم على مثالهم وتفعل بكم مثل مافعلت بهم (٣) الرواية تنتهى (٤) من المندبات أى المؤلمات الموجعات (٥) كما نعت الله أى كما وصف الله عز وجل (٦) بكل ريع الريع المرتفع من الأرض وقيل هو الجبل (٧) يعبثون أى يلعبون (٨) ويتخذون مصانع المصانع الحصون (٩) لعلهم يخلدون أى يدوم لهم البقاء فى الدنيا وهم عاد قوم هود عليه السلام الذين قالوا من أشد منا قوة قالوا ذلك لأنه لم يكن فى زمانهم من هو أشد منهم قوة

بِمَنْ رَأَيْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ . كَيْفَ حُمِلُوا الَى قُبُورِهِمْ لَا يُدْعُونَ رُكْبَانًا . وَأُنْزِلُوا لَا يُدْعَوْنَ ضُيُفَانًا . وَجُعِلَ[1] لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانًا[2] . وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانًا . وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانًا[3] . فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا . وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا . وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً . وَلَا يَعْرِفُونَ سَيِّئًا . وَلَا حَسَنًا . وَلَا يَشْهَدُونَ زَوْرًا[4] . إِنْ جِيدُوا[5] لَمْ يَفْرَحُوا[6] . وَإِنْ قَحِطُوا[7] لَمْ يَقْنَطُوا . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ . وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ . وَمُنْتَادُونَ[8] لَا يَتَزَاوَرُونَ وَلَا يَزُورُونَ . حُلَمَاءُ قَدْ بَادَتْ أَضْغَانُهُمْ[9] جُهَلَاءُ . قَدْ ذَهَبَتْ أَحْقَادُهُمْ . لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ . وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ . وَهُمْ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا

---

(١) الرواية وجُعل (٢) من الضريح اجنانا الضريح الشق فى وسط القبر والأجنان جمع جنن وهو القبر (٣) ومن الرفات جيرانا الرفات الحطام أى الشىء الذى تحطم وتكسر (٤) زورا بالتحريك أى ميلا (٥) ان جيدوا أى أصابهم الجود بفتح الجيم وهو المطر الغزير يعنى ان أخصبوا وأيسروا (٦) لم يفرحوا أى لم يفرحوا فرح بطر لعلمهم ان الدنيا لا يفرح بها (٧) الرواية قُحطوا (٨) ومنتادون أى مجتمعون فى ناديهم وهو مجلسهم (٩) قد بادت أضغانهم أى ذهبت أحقادهم

نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ) إِنَّ ٱلدُّنْيَا وَهَلٌ مَطْلَبُهَا . (١) رَنَقٌ مَشْرَبُهَا (٢) رَدْغٌ مَشْرَعُهَا (٣) غُرُورٌ مَائِلٌ (٤) . وَوَشِيجٌ قَاتِلٌ (٥) . وَسِنَادٌ مَائِلٌ (٦) . يُونِقُ مُطْرَفُهَا (٧) . وَيُعْجِبُ مُونِقُهَا (٨) . وَتُرْدِي مُسْتَزِيدَهَا وَتَصْرَعُ مُسْتَفِيدَهَا . بِإِنْفَادِ لَذَّتِهَا وَمُوبِقَاتِ شَهْوَتِهَا . وَأَسْرِ نَافِرِهَا . قَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا . وَقَصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا . فَنَائِلٌ لِهَنَاتِهَا (٩) . وَتُعَلِّلُ بِهِبَاتِهَا (١٠) لَيَالِيَ عُمُرِهِ وَأَيَّامَ حَيَاتِهِ قَدْ عَلِقَتْهُ وَهَاقُ ٱلْمُنِيَّةِ (١١)

---

(١) ان الدنيا وهل مطلبها الوهل الضعف والفزع (٢) رنق مشربها الرنق الماء الكدر (٣) ردغ مشرعها الردغ ككتف المكان الكثير الردغة وهى الماء والطين والوحل الشديد والمشرع مورد الشاربة (٤) غرور مائل المائل القائم المنتصب يعنى أن غرورها لا يزال نصب أعين أبنائها (٥) ووشيج قاتل الوشيج شجر الرماح (٦) وسناد مائل السناد المعاضدة والمؤازرة يريد أن الدنيا لا يستند اليها ولا يستعان بها (٧) يونق مطرفها أى يعجب والمطرف رداء من الخز مربع فيه أعلام (٨) ويعجب مونقها المونق هو الشيء الحسن (٩) فنائل لهناتها أى ناشرة لها ومذيعة والهنات الداهية والجمع هنوات يعنى لم تزل الدنيا تخرج من دواهيها كل مدفون وتوقظ من فتنها كل نائم (١٠) وتعلل بهباتها أى تعطى قليلا مثل تعليل الطفل بيسير الطعام كي يستغنى به عن اللبن (١١) قد علقته وهاق المنية أى تعلقت به حبال المنون

فَأَرْدَتْهُ بِمَرَائِرِها. قَائِدَةً لَهُ بِحُتُوفِها. إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ. وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ. وَمُجَاوَرَةِ الْأَمْوَاتِ وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ. وَثَوَابِ الْعَمَلِ. ثُمَّ ضُرِبَ عَلَى آذَانِهِمْ فَيْنَاتِ الدُّهُورِ [1] فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ قَدِ ارْتُهِنَتِ الرِّقَابُ بِسَالِفِ الِاكْتِسَابِ. وَأُحْصِيَتِ الْآثَارُ لِفَصْلِ الْخِطَابِ. وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا.

الباب الثالث

﴿ فيما رُوِي عنه عليه السلام من المواعظ ﴾

فمن ذلك قوله عليه السلام

إِنَّكُمْ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَارًا. وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَارًا [2]. وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثًا [3]. وَكَائِنُونَ رُفَاتًا. وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا. وَمَدِينُونَ حِسَابًا فَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا اقْتَرَفَ [4] فَاعْتَرَفَ. وَوَجِلَ فَعَمِلَ. وَحَاذَرَ فَبَادَرَ. وَعُمِّرَ فَاعْتَبَرَ. وَحُذِّرَ فَازْدَجَرَ. وَأُجِيبَ فَانَابَ.

---

(١) فينات وفى نسخة فتنات الدهور الفينات جمع فينة وهى الساعة والحين

(٢) اقتسارا الاقتسار الاكراه (٣) اجداثا الأجداث القبور جمع جدث بفتح الدال (٤) اقترف أى اكتسب